الأديب والشاعر الخوزستاني عباس الحزباوي متحدثاً للوفاق

من «اليقظة» الكويتية الى الحرب الصدامية .. في هواك مُتيّم

لا يمكن الحديث عن الأدب والشعر قديماً أو معاصراً، بدون الحديث عن الشعر الخوزستاني، حيث لهذه المحافظة مكانة راقية وكبيرة ورائدة في مجال الأدب والشعر العربي، ليس فقط على مستوى البلاد، بل بين مختلف البلدان العربية والإسلامية. لقد كان ومازال شعراء خوزستان، مبعدين ومبتكرين وأصحاب حكمة في جميع المجالات الأدبية والشعرية. هناك أسماء لامعة كثيرة ظهرت في ساحة الشعر الخوزستاني المعاصر، ومن أبرز هولاء الشعراء، هو الأديب والشاعر الكبير والمعروف عباس الحزباوي، الذي يقول بنفسه: أنا شاعر الثورة الاسلامية، وللتعرف عن هذا الشاعر الخوزستاني وسيرته، أجرينا حواراً مفصلاً معه، فيما يلي نصه:

الوفاق/ خاص
زهير عبياوى

تفضلوا بإعطاء نبذة مختصرة عن سيرة حياتكم

أنا عباس علي الحزباوي من مواليد سنة ١٣٢٣ هـ.ش. (١٩٤٤ م)، يعني أنا الآن على مشارف الـ ٨٠ عاماً، ولدت في قرية من قرى منطقة الدورق، الآن مركزها يسمى شادكان، ومنطقة الدورق تعرف بشعرائها، منهم إبن سكيت الدورقي شاعر أهل البيت الكبير، والشاعر الحياوي أيضاً، والكثير من الشعراء الذين يسكنون منطقة الدورق.

فولدت أنا في عائلة تتكون من خمس أخوات وأربعة إخوة، وفي قرية من قرى مدينة شادكان تربينا في أحضان الطبيعة، وفي أحضان النخيل وزروع القمح، مزارع النخيل مترامية الاطراف كالغابات، المدينة التي تعرف بنخيلها وبرطبها وتمورها، التي تتنوع إلى ٨٠ او ٩٠ نوعا من التمور، لايوجد في أي مكان آخر هكذا نخيل وهكذا تمور، يعني معرض من النخيل والتمور، وأهل هذه المدينة يهتمون كثيراً بالنخيل والتمور.

أنا كنت من جملة هولاء الناس وكان والدي مدرس قران، يُدرّس سكان القرية، وتلاميذ المدارس أيضاً، فكان والدي يحفظ القران، فتعلمت القرآن وأنا في سن حوالي ٤ أو ٥ سنوات، كنت أحضر في هذه المجالس وأصبحت حافظاً للقران. فعندما بلغت الـ١١ من العمر كنت حافظاً للقران كله، وعملية حفظ القران إستغرقت ٦ سنوات.

آنذاك لم تكن في قريتنا إلا مدارس صفوف الإبتدائية الـ٦ الأولى. المدرسة التي أنا درست فيها كانت مدرسة خاصة، مدرسة بنيت على يد أحد شيوخ قبائل الحزبة كان يسمى المرحوم "دهر"، وكان فاصل كبير بين قريتنا وبين مركز الدورق.

كانت العشيرة تقوم بواجب المعلمين، لأن لايوجد أي دعم بالنسبة للمعلمين والمعلم آنذاك يأتي مع عائلته إذا نوى التعليم في تلك القرية، نحن وسكان القرية نقوم بواجب المعلم.

فإنتهت الدراسة الإبتدائية وكما أسلفت لا توجد مدارس للصفوف المتوسطة، إلا في شادكان، وكانت شادكان بعيدة كثيراً ولا توجد وسائل نقل، فلابد أن نركب الخيل ونذهب إلى هناك أو نذهب بدراجة هوائية.

الهجرة للكويت في الـ١٥ من العمر

وتابع الحزباوي: كانت العوائل في أزمة فقر شديدة، لأن كانت بريطانيا تحتل إيران وأُجبرنا للهجرة إلى خارج البلد، هاجرت وأنا في سن الـ١٥. إلى الكويت عن طريق العراق مشياً على الأقدام.

عملت هناك لمدة ٣ سنوات، وحصلت على موافقة أن أدخل معهد الدراسات العليا للشرق الأوسط في منطقة المرقاب في الكويت، لأن أخي الأكبر كان يعمل في وزارة الدفاع الكويتية، فهو مهّدَ لي هذه الفرصة، وكانت جامعة الكويت لايدخلها إلا عربي أوكويتي فقط آنذاك، والكثير من الإيرانيين درسوا في تلك الجامعة وأنا أيضاً درست اللغة العربية وبالأخص دراسة النقد الأدبي وحصلت على البكالوريوس في ذلك المعهد.

كان الشيخان المنتظري وجعفر المحمودي يأتيان إلينا ويوزّعان أشرطة وإعلانات الإمام الخميني(رض) في تلك الفترة، كنّا نساعدهم وبدأت صداقة حميمة بيننا وبينهم. بقيت في الكويت ١٥ عاماً وكدت أن أنسى اللغة الفارسية لأن هناك التكلّم كان فقط باللغة العربية.

رجعت إلى إيران وكانت بدايات الثورة الإسلامية، ودخلت في الحرس الثوري الإيراني في تلك الآونة فكثرت نشاطاتنا عندما بدأ صدام حسين الحرب ضدنا. بدأت بنشر مجلة آنذاك اسمها "حرس الثورة الإسلامية"، وكتبت كتاب "من هو الشهيد".

في الحرب المفروضة كل الدنيا كانت مع صدام حسين، يعني ٣٥ دولة وقفت ضدنا في الحرب. الحرب المفروضة التي كان الرجال مقابل السلاح، يعني نحن لا نملك سلاحا نحارب به العدو وأيضاً كان الإعلام العالمي ضدنا.

أنا وحاج جاسم حميدي وحاج هاشم صديقي والدكتور الشيخ محسن الحيدري، طبعاً الدكتور محسن الحيدري كان يترأس قائمتنا، وكثير من الإخوة، شكّلنا القسم العربي للحرس الثوري الإيراني، وكان محل استقرارنا في نادي بنك ملي الإيراني لمدة طويلة.

تأسيس جميعة الشعراء في بداية الحرب المفروضة

ويضيف الحزباوي: فأسست جميعة الشعراء في بداية الحرب حوالي عام ١٣٦١ هـ.ش (١٩٨٢ م). طبعاً آنذاك آية الله الموسوي الجزائري قال لي أريد منك أن تشكل جمعية الشعراء في تلك الفترة وتلبية لدعوته شكلنا هذه الجمعية.

كانت هذه الجمعية تضم الكثير من الشعراء منهم الشيخ الشاعر ابراهيم الديراوي رحمة الله عليه وعلي الياسري والشيخ عبدالحسين الديراوي. كبار الشعراء أيضاً كانوا معنا في هذه الجمعية، طبعاً الكثير منهم كانوا رجال دين، وشعراء كبار في الشعر الفصيح، مثل الشاعر "مرد مقدم" من مدينة شادكان و"عبدالقادر مقدم" وبالإضافة إلى شعراء العراق وشعراء من الجزائر ومن لبنان واليمن أيضاً.

حينها قالت الصحف والمجلات الأجنبية لقد فتح شعراء محافظة خوزستان جبهة على صدام حسين أوسع من جبهات الحرب.

متى دخلتم في مجال الشعر والأدب؟

"يل تناشدني الشعر يمته ابتديته؛ الشعر من يوم الگلت بابا حچته".. كان والدي شاعراً، وفي البداية كنت أنظم من الشعر بيتين أو ثلاثة أبيات، وأقرا هذه الأبيات جنب والدي، ليبدي برأيه على هذه الأبيات، وكان يدعوني الى الإستمرار في هذا المسير. وكنت استمر الى أن ذهبت إلى الكويت عام ١٩٥٨ م، وكنت في سن الـ١٥ من عمري.

وكانت الأوضاع الإجتماعية والثقافية هناك تختلف مع مدينة اهواز، ومفارقة الأهل والديار والأحبة والنخيل، هاجت عواطفي بشدة، فكتب أول قصيدة إلى مدينة شادكان، حيث تم نشر هذه القصيدة في بعض الصحف والمجلات آنذاك: لقد كنت من قبل في شادكان / فما أجمل الأسم يا بلدتي.

هناك صادقت أحد مسؤولي الإذاعة والتلفزيون الكويتي ومن خلال هذه الصداقة، تم نشر بعض من قصائدي في الكويت، والعراق والسعودية، وحتى في الصحف الكويتية ومنها صحيفة اليقظة، ثلاث أو أربع صحف كانت تنشر قصائدي وكتاباتي باستمرار. فمن هناك بدأت بالشعر وقمت بتأليف ديوان شعري تحت عنوان "ليالي الفنطاس"، وهي منطقة في الكويت، والتي ذكرتها في بعض قصائدي وسكنت بها مايقارب ٥ سنوات.

شاعر الثورة الإسلامية خطوة بخطوة

ويتابع كلامه الحزباوي ويقول: بعد ١٥ عاماً رجعت الى إيران وكانت بدايات تحرك الثورة الاسلامية، فبذلت كل جهدي إلى الثورة الاسلامية، فأنا شاعر الثورة الإسلامية خطوة بخطوة، حيث تجد الآن في كتبي ودواويني الشعرية ذكر الحوادث بدقة، وبما أنها دواوين شعرية، ولكن تعد سجلاً تأريخياً نوع ما، يعني الأمور التي لم يتطرق اليها الشعراء أنا كنت أتطرق اليها، خاصة الأمور التأريخية، وكما ذكرت لكم عندما رجعت إلى ايران قمت بتشكيل جمعية الشعراء في خوزستان، وقمنا بتشكيل صفوف لتدريس الشعر وأيضاً جلسات شعرية تحت إشراف آية الله السيد الموسوي الجزائري والشيخ محسن الحيدري والشعراء الكبار مثل السيد شعاع فاخر والشيخ حسين الطرفي.

فكانت نهضة شعرية تأريخية بمعنى الكلمة، واستمرت هذه النهضة الشعرية حتى الآن، حيث أن لدينا شبابا موهوبين بمجال الشعر، والآن لدينة ثروة شعرية تملأ المكتبات.

فقمنا بطبع دواوين شعرية لجمعية الشعراء الى أن انتهت الحرب المفروضة، ولكن استمرينا بإقامة البرامج والجلسات. فمثلاً كان لي برنامج في مجال الشعر الشعبي و تدريسه في إذاعة خوزستان بمدة ١٥ عاماً.

متى بدأتم بالتعاون مع فرق الأناشيد والموشحات؟

أنا درست الموشحات ضمن دراستي في معهد الدراسات العليا في الكويت. وكما تعلم أن الموشح ظهر في القرن الثالث الهجري في الأندلس، حيث تمكن الشاعر العربي آنذاك بظهور شعر جديد ونظم جديد، حيث لا يشبه القصائد المنظومة مثل المعلقات والقصائد التي تسرد عند الملوك، ومن ثم إنتقلت الموشحات الى الدول العربية مثل الجزائر وليبيا ومصر.

أول شاعر في الموشحات في خوزستان هو أبومعتوق الحويزي في محافظة خوزستان، الذي كان يعيش في فترة سلطة العباسيين آنذاك. الكثير من الشعراء نضّموا ذلك إلى زماننا هذا.

فإرتقت مكانة الموشحات وشكلت لجنان في كل البلد مثلاً في مدينة اصفهان الإستاذ شاه ميوه، وفي طهران، في تبريز وأيضاً دعتني هذه اللجان وكرّمتُ هناك.

التعاون مع ٥٠ فرقة في مجال الموشحات

وأضاف الحزباوي: فقمت بالتعاون مع ٥٠ فرقة في مجال الموشحات في كل إيران من الشمال إلى الجنوب، الآن مستوى الموشّحات مستوى عالمي طبعاً، والحمدلله الآن كل مناسباتنا الدينية والمذهبية فيها الموشّحات ومازلنا مستمرين.

كيف كانت علاقتك مع قائد الثورة الإسلامية؟

علاقتي بدأت مع سماحة القائد منذ الحرب المفروضة، حيث كنت في إذاعة أهواز وكان يأتينا إلى الإذاعة، وكان مسؤول الإذاعة آنذاك حاج علي جنتي أبن الشيخ جنتي، وكان قائد الثورة الاسلامية يجلس معنا ويتكلم بصورة عادية ونتكلم معه أيضاً.

العلاقة الجيدة جداً مع قائد الثورة الإسلامية

وتابع الحزباوي: كان يدعيني أن أذهب إليه وأتكلم معه، كانت علاقتي به جيدة جداً، حيث كنت أذهب مع سماحة القائد إلى جميع مدن المحافظة، ومنها مدينة سوسنكرد، وكان يطلب مني أن أقول للناس هناك أن يقوموا بالهوسات والأهازيج، وهم يقومون بالهوسات يميناً وشمالاً، وفي مدينة شادكان أيضاً كانوا يقومون بذلك، وفي بعض الأوقات كان الدكتور حسين جوبين يأتي معنا.

كنت أحظر عند قائد الثورة الاسلامية في العام مرتين أو أكثر، حتى أتت جائحة الكورونا وأنا لم أذهب إليه لمدة عامين أو أكثر، حيث ذهبوا عنده حرس الثورة لمحافظة خوزستان في حفلٍ وهو سألهم اين الحاج حزباوي؟ فأجابوه الحاج قال لنا أنا لا أستطيع المجيء، إلا أن أذهب وأعانقه، فابتسم القائد لأن جائحة الكورونا كانت موجودة وبشدة، ولا نتمكن من المعانقة.

سنة ٢٠٠٦ م، توفرت لنا الفرصة لزيارة قائد الثورة الاسلامية، وقمنا مع مجموعة كبيرة من شعراء محافظة خوزستان بتنظيم آية الله الشيخ محسن الحيدري، وتحت إشراف آية الله الموسوي الجزائري، ولكن أنا عند الوصول إلى طهران ذهبت مباشرة إلى الحج، لأن في نفس موعد اللقاء كان من المفروض الحضور في مناسك الحج مع زوجتي، وعندما ذهب الوفد والتقى بقائد الثورة تمت قراءة قصيدتي:

قلب العروبة قبلة الإسلام
فيض الشعور ومصدر الإلهام
قُدِّستِ من أرضٍ و طِبتِ مرابعاً
حق تزار رُباك بالإحرام
يا قدس قلب في هواك متيم
إن الهوى رحم من الأرحام

قائد الثورة كان شاعراً وناقداً أيضاً، فمرة أتى الشاعر العراقي الكبير محمد مهدى الجواهري، فهو أراد أن يرى القائد، فقالوا لي نريدك أن تذهب معنا كي نرى القائد. ذهبت معهم وعندما دخلنا وجلسنا، وبعد الكلام الكثير الذي دار بيننا، أرانا كتاب دراسة نقدية، ينقد فيها كتاب محمد مهدي الجواهري، فالجواهري تعجب كثيراً من ذلك الأمر.

الصوت الفلسطيني الآن يسمع في كل العالم

الحزباوي يتابع حديثه قائلاً: مسألة فلسطين هي مسألة قائمة بذاتها والقضية واضحة تماماً، أنا صاحب البيت والأرض، والآخر يأتي ويعتدي، يعني الفلسطيني في بيته والإسرائيلي يهدم البيت، ويعتدي على أطفاله. الآن الإحتلال الصهيوني لا يحارب جيشاً بل يحارب النساء والأطفال وكبار السن.

يعني أقول لكم ماذا نسمي هذا؟ عندما تهدّم المستشفيات هل هذا يسمى حرب؟ ومنها مستشفى المعمداني والمجزرة المروعة والبشعة.

فـ"إسرائيل" لا يردعها شيّء فلا دين لهم ولا إيمان لهم. الآن الصوت الفلسطيني يسمع في كل العالم وطبعاً الناس عرفت الحقيقة، عرفوا أن "إسرائيل" إجتمعوا من جميع العالم بالأموال، فكيف هؤلاء يحاربون من هم أهل الأرض، ولهذا السبب "اسرائيل" لا تنتصر.

ما هي تأليفاتكم الأدبية والشعرية؟

ألفت كتب كثيرة في موضوع الشهيد والشهداء، وطبعاً صرت مؤلفاً في هذه القضية، كتبت عن الشهداء العرب، مقولاتهم وصورهم ووصاياهم وعوائلهم وكل ما يختص بهم.

موسوعة الشعر الشعبي (ثلاثة أجزاء عام ١٤٠٥ هـ.ق)، سلوة الروح في اللطم والنوح (عام ١٤١٢ هـ. ق)، سلسلة الأدب الاسلامي الخوزستاني (سلسلة كتب أدبية، ومنها؛ أناشيد اسلامية لأشبال خوزستان، صرخات ثورية في وجه الزمرة البعثية)، من هو الشهيد؟ (كتاب يعالج طبقات الشهداء)، مشاعل على الطريق (٤ مجلدات)، دمعة على شاطئ الفرات، ونّت قلب (عام ٢٠٠٠)، ألف بيت في مدح وليد البيت، رحلة أدبية في شعر الإمام الخميني(رض) (نقد وتحليل)، القصائد الخمينيّات في الشعر الفصيح، أحلى القصائد في رثاء الإمام القائد (شعر شعبي)، فلسطين في الشعر الخوزستاني، النقد الأدبي (قواعده وأصوله) وهو يتشكل من جزءين (نقد الشعر) ونقد النثر (لم يطبع بعد).

هذا الكتاب هو آخر ماطُبع للشاعر عباس حزباوي؛ وهو مادة دراسية في جامعات أهواز وبعض الجامعات في البصرة العراقية لطالب اللغة العربية.

الحزباوي: قمت بتشكيل جمعية الشعراء في خوزستان، وصفوف لتدريس الشعر، فكانت نهضة شعرية تأريخية بمعنى الكلمة، واستمرت هذه النهضة حتى الآن، حيث لدينا شباب موهوبون بمجال الشعر، والآن نمتلك ثروة شعرية تملأ المكتبات، وتجد في كتبي ودواويني الشعرية ذكر الحوادث بدقة، وتعد سجلاً تأريخياً